

نقد أخلاقنا

للمرئاة غير الجسم كلف الغطاء

ص

الخلق في الفرد حالة نفسية ثابتة لحد ما قد عمل على تكوينها التربية والمادة والظروف الاجتماعية والطبيعية وقد تساعد الوارثة على تكون بعض الاخلاق بطريقة خفية . ويعرفه البعض بتغلب ميل من الميول على الانسان باستمرار ، فالكرم هو الذي يتغلب عليه الميل الى الاعطاء . وام الاخلاق الصدق والشجاعة والمعة والتجد والتبصر .

لا اريد ان افصل في مقالي النظريات في اخلاق الانسان آني في الخير والشر والعوامل المؤثرة في تكوين الاخلاق . ولكن احاول امراً آخر ، هو تعيين اهم نقائصنا الاخلاقية تصنيفاً يتصف بدقة التمييز . فاحاول تعيين هذه النقائص وبيان اسبابها بصورة مختصرة ليستفيد من ذلك الاشياء والمربون والقراء . . .

لقد كتب كثير في عيوبنا الاخلاقية ولكن معظم ما كتب لا يخرج عن حشد التذمر والنهويل ولا يستند على البحث والبررس . فتدني الاخلاق عندنا مبالغ فيه كثيراً ومن الانصاف ان نذكر ما لنا وما علينا . فاعتقد انه لا يزال اثر الاخلاق العربية الحميدة باقياً في النفوس كالشجاعة والصدق والكرم والاباء والوفاء والنضحية والقناعة . ولكن اعتقد اننا في حاجة الى بعض الاخلاق التي تقتضيها المدنية الحديثة وطبيعة العصر الحاضر كالتفكير السليم والجد في العمل والثابرة وحسن التنظيم والتصميم والشعور بالمسؤولية . وهي التي سوف اهتم بشرحها . ان قضية الاحتفاظ باخلاقنا الحميدة مع اقتباس بعض الاخلاق الغربية الحسنة والابتعاد في نفس الوقت عن روح القلق والطمع والتهاك على الزفاء والتمتع المادية السائدة في المدنية الغربية امر له خطورته واعنيته . وفيما يلي اهم النقائص التي يليني ان تلفت اليها ونعني بها فيها .

١ - الخوف من التفكير

لقد وهب الله للانسان عقلاً راقياً لكي يستفيد منه ويستخدمه في اعماله وحياته ويساعده في الوقاية من الوقوع في الاخطاء والاحطار مع هذا نجد الانسان يفضل الشرود والذهول والجمود الذهني ولا يكلف نفسه عناء التفكير والتروي والتأمل قبل الاقدام على العمل . ولا يتدبر العواقب ويندفع في اعماله مع عواطفه وحوازه الآنية . ان سر وقوع الانسان في الخطأ والخطر يكون على الغالب هذا الانسياق مع الانفعالات والعواطف الحارمة وعدم انفساح المجال للتفكير . يخاف كثير من الناس التفكير ويحسبونه مضرراً بصحة الجسم مع ان العمل الفكري الهادي الموزع في اوقات مختلفة ليس فيه أي ضرر على الصحة ولا يقاس بتاتا بالانفعالات الهارمة المضرة للجسم كالخوف والغضب والحزن والندم . ولذا نجد الفرد لا يحلل المواقف التي يواجهها ولا القضايا او وجهات النظر التي تعرض له . والتلميذ لا يدقق في فهم الدرس ليوفر على نفسه التكرار الملل الذي لا يوصل الى نتيجة . ولنفس السبب كثير من الناس لا يقبل على المطالعة والدرس لانه امر غير مرغوب فيه بنظرهم وقد يلجأ بعض الافراد الى التفكير عند الوقوع في ازمة وفي ساعات حرجية ، وفي هذه الحالة يضطرب الفرد ويختل تفكيره فيدني له ان لا يبت في حكم لمعالجة الموقف الجديد إلا بعد ان يبدأ ويحلل الموقف تحليلاً دقيقاً . على الفرد سواء في معالجة شئونه الشخصية او مشاكه مع الآخرين او في دراسة الحقائق العلمية ان يفكر بهدوء ودقة . ونقص بالهدوء ان لا يتفعل الشخص ولا يتهمج . ودقبة التفكير تحصل بالبحث عن الحقائق المتعلقة بالموضوع ومعرفة الانتقال من المقدمات الى النتائج ومن الجزئيات الى الكليات . ويطلق على هذا النحو من التفكير في الوقت الحاضر بالاسلوب العلمي الذي يعود الفضل اليه في تقدم العلوم .

٢ - الخوف من العمل

المقصود بالعمل غالباً العمل الذي تنقلب عليه الحركة والجهد المضني او الذي يشترك فيه عنصر الحركة والتفكير مثل عمل الطبيب والدرس والحامي والمهندس والموسيقى . العمل غاية بنفسه لان الانسان عند ما يكون نشيطاً صحيح الجسم يرغب

في العمل ويتضابق من التحول والسكون كما يرغب في الراحة والنوم بمد البقاء والتعب. وهو وسيلة أيضاً لوصول الفرد الى غايته والتعبير عن نفسه وخدمة المجتمع. ولا شك ان هناك قسماً من الناس لا يرغب في ترك العمل حتى لو اتيح له ذلك. فالثري المصاحي لا تشجعه ثروته على ترك العمل بل على الاستمرار في العمل وتقدير قيمة العمل. ومع ذلك لدينا قسم كبير لا يبي قيمة العمل وعياً تاماً.

وهؤلاء الناس صنفان : صنف كان اهلهم قد أعزوم ودلوم كثيراً في وقت الطفولة أي تربوا تربية غسدة فعندما يكبرون يرومون بصورة غير واعية ان تكون حياتهم هينة سهلة. ومع الأسف بالنظر لكثرة وفيات الاطفال عندنا ولجهل الابوين باصول التربية النفسية فان تدليل الطفل شائع عندنا ؛ وصنف يظن ان السعادة في الراحة ، وان العمل امر مزعج مضر بالصحة. وفي الحقيقة ان العمل بصرف الفرد عن الوسواس والافكار السوداء ويثبت السرور. ويدخل ضمن هذا الصنف على العموم، الناس الذين ازعجهم الكد في سبيل العيش وطلب الرزق. ولن يغير العمل الفرد اذا كان موزماً تتخلله الفترات وملاًماً بأواهب الفرد ومقدرته. وينبغي الانتباه الى ان المهم في العمل الاقدام علمية والمثل الانكليزي يقول « ان ابتدأت بالعمل فقد انجزت نصفه » ثم المثيرة لا كمال العمل الذي ابتدأت به.

٣ — عدم العناية بالتنظيم

ان ما نلاحظه في العالم من روعة وجمال راجع الى النظام الذي يسود فيه ويظهر النظام في الطبيعة عن طريق التشابه والتقارب والتناسق والتناظر والتعاقب والتدرج وغيرها من الكيفيات. قلت اننا في الغالب نخاف من التفكير ونخاف من العمل. ومن المهم أيضاً ان اهلوب تفكيرنا غير منتظم والتفكير المشوش يقود الى التشويش في العمل. فينبغي ان نفكر تفكيراً منتظماً عميقاً شاملاً كي نستطيع بفكرنا ان نخترق الحجب والاستار بحثاً عن الحقيقة والنتائج. وان كان التفكير المنتظم يحتاج الى جهد عقلي وكد ذهني ولكن هذا العناء الوقتي انفع لنا ويوفر علينا راحة طويلة وفائدة جزيلة ولذلك ينبغي عدم

الاقدام على أي عمل قبل وضع خطة صحيحة لذلك العمل وينبغي ان يكون حب النظام والجمال عادة فينا.

٤ — ضعف الشعور بالمسؤولية

يقول الحديث الشريف « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » ان الشعور بالمسؤولية اهم اساس في بناء الحياة الاجتماعية لانها مبنية على التعاقد والتعاون. وضعف الشعور بالمسؤولية مما يحل بالتعاون. ان الذين يشعرون بالمسؤولية بوضوح واستنارة لا شك قليلون عندنا. وكثير من الناس يتدفع الى عمل الخير اندفاعاً عاطفياً غير مقترن بالوعي وتقدير المسؤولية. ولا اريد ان انكر اهمية العاطفة في الحث على التضحية وعمل الخير. ولكن بدون الوعي والشعور بالمسؤولية لا يسير الفرد على هدى ولا يكون منسجماً في نفسه ، بل موزع العقل تتقاذفه امواج الهوى

كل فرد منا يجب ان يدرك اهمية الحياة الاجتماعية وقيمتها. والحياة الاجتماعية وان كانت ناقصة افضل من حياة الانزغال للبشر لاسباب عديدة.

كل فرد منا مسئول امام اهله واسرته وقومه ووطنه وبالتالي امام الانسانية وامام الله. والذي يشعر بالمسؤولية يسمو بنفسه حين يسعى لخير الجماعة ويطيع نظمها وآدابها.

٥ — سوء الظن

ان سوء الظن يخل بالحياة الاجتماعية كعدم الشعور بالمسؤولية واحياناً يؤدي الى فوات فرص نافعة للفرد لو احسن الظن. فيضر نفسه. ان سوء الظن يشل الفرد ويميق تقدمه ونشاطه. وسوء الظن يتعلق بقضية الخير والشر في الانسان وايهما متغلب على فطرة الانسان الاصلية. وبما ان مقياسنا للخير والشر مقياس اجتماعي فالخير هو رغبة الفرد في خير غيره والشر رغبته في اذى غيره ولكن نلاحظ ان الانسان لا يمتدي على غيره الا اذا اضطر الى الاعتداء لسبب ما. والانسان بسبب الحياة الاجتماعية ورفي عقله وسمو عواطفه تتغلب عليه نوازع الخير. سوء الظن ناتج في الغالب عن انائية وضعف نفس وتفكير قليل. فلو عد الشخص المواقف التي احسن الناس فيها اليه والمواقف التي صدقوه فيها لوجدناها اكثر عدداً من المواقف التي